

نعشي

مكاريوس جبّور

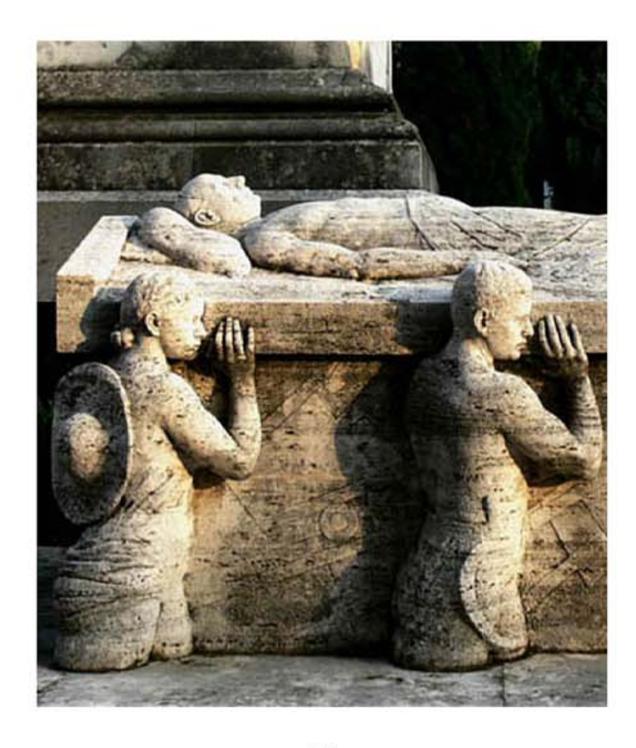
١٣ أيلول ٢٠١٩

نعشي

مكاريوس جبّور

١٣ أيلول ٢٠١٩

عندما يُزفّ نعشي من البوّابة،
ويُسدل الستار على مشهدي،
وعندما تنتهي الأكذوبة الكبرى،
ويُدفنُ جثمانُ القهّار،
لا ترشّوا الورود ولا الريحان،
ولا تبكوني كأغبياء الصبيان،
وعندما تحملني العربة إلى المزار الأخير،
وتهوي معي جميع المعايير،
لا تنوحوا على الحنّان والسجّان،
ولا تتأسّفوا على مَن في الظلّ كان...



وعندما يهطل المطر ويمتزج بالآهات،
لا تُكثروا الكلام ولا تُطيلوا السلام،
ولا تتهامسوا على المؤرّخ المجنون،
على النازي الحنون،
ولا تتشاجروا على سيرة نبيّ الزمان،
وعلى كليم الله والشيطان،
وعلى القاتل وأبي الرهبان...



ولا تضيعوا في وصف مناقبي،
وفي نعت أناملي،
فكم كتمتم أنفاسي!
وكم قتلتم الضحكة على ثغري!
وكم قوّضتم مشاعري!
وكم ألقيتم بي في حُفرة النفايات!
كم نمتُ مقهورًا مظلومًا عديم الآخات!
فصّلتموني سروالاً على أذواقكم العصريّة،
حيث لا آمال ولا أخلاق!
ولا أحاسيس ولا قبلات!
وحيث التاريخ دونّتموه بأقلام من خزعبلات...



عندما يضعونني في تلك الحفرة،
تذكّروا كلماتكم المرّة،
وتلك الجمرة
التي أحرقتم بها مواهبي ومواسمي،
وتلك السيوط التي رسمت عشقكم على
ظهري،
وهيامكم لنهري،
ولا تلبسوا السواد، ولا توزّعوا الحسنات
على مَن كان بالأمس إله السيّئات!
فالإله الذي تعبدون سبق أن حكمني
وحاكمني،
وحكمته الدهريّة أبت إلاّ أن تجعلني في
قعر الجحيم،
وهذا قدرُ الله... هذا قدرُ الله...
لعلّكم تهتدون...

وعندما يُغلقون الحفرة فوقي،
ودّعوا فيّ تلك القهقهات،
وذاك المقهى الدمشقي الوهمي،
وشارع الدبلان،
وأزقّة كسروان،
والحكايا والأغنيات،
وزجاجاتي المرميّة التي تقصّ تاريخي،
وخطاباتي في المناسبات التي طالما كرهتم...



ولا تقولوا: وا أسفاه!
ويا للخسارة التي لا تُعوّض!
فعرشي من قبل أن أولد تقوّض!
وعندما يتدفّق المعزّون والممثّلون،
والندّابون والنمنامون،
وجميع أصناف الفنّانين الموهوبين،
ضعوا على صورتي الأوسمة،
وكلّلوني بأزهار النقمة،
رحل المفتون الملعون شبه الإنسان!
وعندما ترجعون وقد انتهى العرض المسرحي،
ونال الممثّلون أعلى درجات الإعجاب،
أضرموا النار في آثاري المتبقّية:
أسطوانات وكؤوس وحفنة من القصاصات،
وخطاب رثائي الذي ألّفته قبل أن أولد بآلاف السنوات...

والشموع والأسطوانات، وذاكرة هاتفي،
وما عندي من خيالات،
وقهقهوا من نشوة الانتصار!
خرج نعشي من البوّابة ولن أعود لأعطّل عليكم النفَس المعسّل، والقيلولة بعد التعب، والملل والاشمئزاز،
ولن أُقلق راحتكم بحِكمي الغبيّة التي جمعتها في كتاب لن يقرأه أحد!
ولن أزعجكم في سقي الأقحوانة التي زرعتها بيدي،
فقد ماتت قبل أن ترى الشمس،



ألقوا بحماقاتي في سلّة المهملات:
محبّة! عدل! مسامحة! تواضع! صفح!
وغيرها من هرطقاتي الشيطانيّة...
وامحوا من ذاكرتكم «مدينة المحبّة»،
و«المحبّة بدون حدود»،
وقبلاتي والدلال...
فقد ولّى عصر الأوهام،
وعبَرَ غباء القيم،
وفنجان قهوتي انقلب سحرًا،
والعمر والإمبراطوريّة!
وتلك السحابة من الدخّان!
وأريج البلسم يوم الجمعة العظيمة!
والأبناء والأحفاد،
وموسيقى «تروي» وعرس الملكة!
وراحيل التي أبت أن تبكي على رحيلي!
وناصيف والرشا والنسرين،
ولي حبيب حبّه وسط الحشا!

وهنهنوا الوداع الأخير
لقصّة عشق بدأت وانتهتْ في الثلاثين من آذار،
ولعالم ذيفتروس في كانون وشباط،
وجميع شهور السنة الشمسيّة!
تحرّرتم من قلقي عليكم،
ومن هواجس المجد التي لا تنتهي،
ومن أسطورة صدّقتموها في سني المراهقة وحملت عنوان:

«مكاريوس
الأسطورة التي لن تغرب عنها
الشمس...»



حلب

